

نِسَاءُ جَزَائِرِيَّاتٍ صَالِحَاتٍ وَمُصْلِحَاتٍ

أَخِيَا ذَكْرَهُنَّ وَذَكْرَ بَقْلَهُنَّ: أ. سمير سمراد



لقد اهتم أئمة الإصلاح في الجزائر بالمرأة الجزائرية المسلمة وأولوا عنايةً بتعليمها وتربيتها تربية إسلامية صحيحة وعملوا على أن يكون لها دورٌ رائدٌ في بناء الجيل وإصلاح الناشئة، ومشاركة في تكميل ما بدء به الرجال العاملون ومساندة لهم في النهوض بهذه الأمة، ومن أجل مظاهر تلك العناية وذلك الاهتمام: تلکم الدروس والمحاضرات التي كانت موجهة إلى النساء، والمدارس التي أنشئت لخصوصهن، فكان من وراء ذلك أهداف مسطورة وغايات مدروسة، هي قسم مهم من أقسام البرنامج الإصلاحی الذي شرعوا في تنفيذه وعملوا على تثبيته وتطلعوا إلى غاياته، فكان بحمد الله شيءٌ غير قليل مما كانوا يرجون وأقر الله عيونهم بما كانوا يؤملون.

والمجتمع والدين خدمات جليلة يفخر بها تاريخ المرأة في الإسلام⁽²⁾.

وكنّ النساء يحضرن احتفالات واجتماعات (الجمعية الخيرية الإسلامية) التي كان يرأسها الشيخ الطيب العقبي رحمه الله، وفي أحد خطابه القويّة في: «الإحتفال الخيري الإسلامي» وعن حضور النساء يقول: "إن شاهدن هذا المظهر السار، فكُن في جنب الرجال في فعل الخير، وهكذا كانت النساء في الإسلام، وبيّن أنّ حضور النساء في مشاهد الخير ومجالس الوعظ والإرشاد وهُنّ في محل خاصّ متحجّبات كما رأيتم هو من السنّة، وقد كان في عهد الرسول ﷺ، ولَسْنَا نَعْمَلُ عَمَلُ الَّذِينَ يَنْفَخُونَ فِي أَبْوَابِ الشَّرِّ مِنَ الْجَمْعِ وَالْمَزَجِ بَيْنَ الْجَنَسَيْنِ، ثُمَّ يَرْمُونَا بِمَا نَحْنُ مِنْهُ بَرَاءً، وَإِنَّمَا نَعْمَلُ عَمَلُ الْمُسْلِمِينَ الصَادِقِينَ الْمُقْتَفِينَ، وَجَدَعَ اللَّهُ أَنْفَ مَنْ لَا يَغَارُ عَلَى الدِّينِ وَالْفَضِيلَةِ!" اهـ⁽³⁾.

والأخلاق وأسس من الفضيلة والرجولة والوطنية، وأشار إلى وجوب شعور كلّ واحد من أعضاء الأسرة والمجتمع بمسؤوليته الملقاة على كاهله، وعناية الإسلام بالمرأة في جميع أطوار حياتها، وتوفير حقوقها لها كاملة خلافاً لما يقوله بعض الجاهلين بالإسلام⁽¹⁾.

والشيخ الإبراهيمي رحمه الله الذي كان حاضراً في تلك الوليمة قفى على كلمة التبسي، و"دعا الحاضرين إلى المحافظة على الهيكل الأخلاقي في الأسر قبل أن ينهار، وحثّ على العناية ببنيان من يسكن الدار أكثر من العناية بتشيد الدار وتزويق جدرانها وسد ثقبها، وأشار إلى أن حاجتنا اليوم إلى أطباء الأرواح للمحافظة على أخلاق هذا الجيل وهذه الأسر الناشئة أشدّ من حاجتنا إلى أطباء الأجسام، كما حثّ في الختام على تعليم البنات وإعدادها للحياة إعداداً إسلامياً صحيحاً يلحقها بمن يحدثنا التاريخ الإسلامي والعربي عنهن من فضليات السيدات اللاتي أدّين للأسرة

* يقول الإمام ابن باديس رحمه الله في ترجمة السيد رشيد رضا تحت فصل «البيئة المنزلية»: "البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال، وتدوين الأم هو أساس حفظ الدين والخلق، والضعف الذي نجده من ناحيتها في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت بسبب جهل الأمهات وقلة تدوينهن، و«السيد رشيد» كانت متانة خلقه وقوة دينه من أثر أمه التي كانت- كما قال هو- على جانب عظيم من الدين مع العلم الكافي لمثلها ولبينة بيته. فإذا أردنا أن نكون رجالاً فعلياً أن نكون أمهات دينيات، ولا سبيل لذلك إلا بتعليم البنات تعليماً دينياً وتربيتهن تربية إسلامية... فمن الواجب علينا... أن نعنّى بتعليم بناتنا تعليماً يحفظ علينا مستقبلنا، ويكون لنا الرجال العظماء والنساء العظيمات" اهـ⁽¹⁾.

* وفي كلمة ألقاها الشيخ العربي التبسي رحمه الله في وليمة زواج وحفلة زفاف حضرها: "أبأن كيف يجب إقامة الأسر أو الممالك الصغرى على ضوء من العلم والدين

(1) «الشَّهَاب»، م 12، (ص 449-453)، ج 8، 1935 م.
(2) «البصائر»، السلسلة الثانية، العدد (170)، (ص 8).
(3) «الشَّهَاب»، (ص 112).

الصفات فأيدت فيه وراثته الكريمة من أبيه"، وفي 1320هـ توفي والده والطيب في سنته الثالثة عشرة، فواصلت أمر تربيته تربية إسلامية قوية وتعليمه، وحمته من مكاره اليتيم والغربة وكل ما يشغل البال⁽⁹⁾.

3 جدة الشيخ مبارك الملي:



حفصية بنت أحمد مزهود، "كانت فاضلة شديدة التمسك بالدين كزوجها⁽¹⁰⁾ كريمة النفس، تعطي زوجها دراهم كثيرة من مالها إذا حج ليتصدق بها في الحجاز"⁽¹¹⁾. بعد وفاة والد الشيخ مبارك توفيت أمه، «فحضنته جدته، وقامت له مقام أمه⁽¹²⁾».

ولما كان «مبارك»، يحفظ القرآن في «الكتاب»، «احتفلت أسرته به ثلاث مرات، لما ختم سورة مريم وحفظ النصف الأول من القرآن احتفلت الأسرة وأولمت وليمة كبرى، ولما ختم القرآن؛ وقع هذا الاحتفال العظيم وتلك الوليمة، ولما أعاد حفظه واستظهره أقاموا هذا العرس الكبير، وأولموا وليمة كبرى».

"وكانت السيدة حفصية بنت أحمد هي التي تُقيم الولائم وتنفق فيها من مالها، لشدة حُبها للعلم، وحُبها الشديد لحفيدها «مبارك»، واعتزازها بتعلمه، وحفظه لكتاب الله، يرحمها الله"⁽¹³⁾.

يُحدِّثنا تلميذه الشيخ علي مرحوم عن أول يوم رجع فيه إلى بلده قافلاً من تونس حاملاً شهادة (العالمية) من «جامع الزيتونة»، فيقول:

"وقص علينا الشيخ قصته -والبشر يفرض على محيائه- يوم أُوتيه من تونس، حاملاً شهادة العالمية، قال: حينما ولجت باب الدار، أسرع إلي أبي فعانقني، وقال لأمي - في سرور وابتهاج -: ها هو قد جاءك عالماً... فانطلقت من فيها «زغردة»..

ما زلت أتذكرها، ولن أنساها، وشعرت من أعماقي منذ ذلك اليوم بمدى عبء المسؤولية التي أحملها على عاتقي بصفتي عالماً، وبما أثرت به في نفسي تلك المناسبة الباقية في ذاكرتي ما دمت حياً"⁽⁷⁾.

«ولم يكد الشيخ ينتهي من رواية القصة والتحدث عن أثر والدته فيه في ذلك الاحتفال العظيم، حتى تذكر حنان أمه وأثارها العظيمة فيه... فحنقته العبرة وبكى فأبكى الجامع الأخضر الحاشد بالناس"⁽⁸⁾.

2 والدة الشيخ الطيب العقبى:



بأية بنت محمد من أسرة آل خليفة الماجدة، "كانت والدة الشيخ الطيب ورعة تقية شديدة التمسك بالدين مُحبة للعلم وذويه، حازمة ذكية فصيحة فأورثت لابنها الطيب هذه

* وكما كانت الأمة الجزائرية الناهضة تُفاخر بكثير من أبنائها ورجالها، كانت مع ذلك تُفاخر بثلّة من نساءها وتغبط بجلال أعمالهنّ وعظيم مواقفهنّ وحسن تصرفاتهنّ وجميل مآثرتهنّ وهنّ يحتضنّ الدعوة الإصلاحية ويمثلنّها في بنات جنسهنّ، حيث أصلح الله بهنّ وعلى أيديهنّ - بالتربية الدنيّة والدعوة الإسلاميّة- رجالاً ونساءً، وكوننّ وهيئنّ -على أساس متين من تقوى الله- أسراً وبيوتاً، وأسهمنّ بجود وسخاء في مشاريع خيرية وصروح علمية ومؤسسات تربوية، فكنّ رائدات وكنّ سيّدات، وقد سجّل لهنّ التاريخ ذلك فما كنّا لنطوي ذلك إذ طواه الزمان، واعترف به لهنّ المنصفون فما كنّا لنجده أو ننكره، بل ذا أو أن نشر ما طوي منه والتذكير بما سكّته عنه، وإليكموه في هذه الصحيفة منشوراً؛ نماذج وأمثلة لنساء صالحات مصلحات على تقاوت بينهنّ في علمهنّ وعملهنّ ودعوتهنّ، أمهات وبنات وأخوات وزوجات، نسجّل ذلك كلّه باعتزاز وفخار ودعوات صالحات بأن يرحم الله ويثيب أولئك السيّدات العَامِلات...

1 والدة الشيخ عبد الحميد بن باديس:



زهيرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلّول، "كانت تحب العلم كلّ الحب وتوقّر أهله وتشرّف ذويه"⁽⁴⁾، كانت تحب أن ترى ولدها عالماً وكان ذلك أعلى أمنية عندها، كانت "إذا أرضعته أخذته بين يديها وغتته بأمالها فيه:

سَعْدِي بَوْلِيدِي نَشْرِيْلُو خَادَمْ
أَنْهَرْ أَدْوَايَةَ وَالْأَقْلَمْ وَنَقُولُ سَيِّدِي عَالَمْ

وكانت زهيرة تهدهد بهذه الأغنية ولدها وهو غلام قد شبّ كلّما سعى إلى جبرها"⁽⁵⁾، ومما يدلّ "على شغفها أن يكون عالماً زغردتها لما رجع من تونس وقد نال شهادة التحصيل وصار عالماً"⁽⁶⁾.

- (4) «نهضة الجزائر الحديثة» لمحمد علي دبوز، (2/64-68).
- (5) المصدر السابق.
- (6) المصدر السابق.
- (7) علي مرحوم: «لمحات من حياة ابن باديس»، مجلة «الأصالة»، العدد (24)، (ص112-113).
- (8) «نهضة الجزائر الحديثة» لمحمد علي دبوز، (2/64-68).
- (9) «نهضة الجزائر الحديثة» لمحمد علي دبوز، (2/113).
- (10) هو السيد (رابح) جدّ الشيخ مبارك، كفله بعد وفاة والده ثم والدته، «ومن تمسك جده (رابح) بالدين، وقوة عزمته وشجاعته وجلده أنه حج ثلاث مرات راجلاً في البر من الجزائر إلى الحجاز، وفي حجه الرابعة أكرمه الله بالوفاة في الحجاز حوالي 1326هـ - 1327هـ/1908م - 1909م». انظر: «أعلام الإصلاح في الجزائر» لمحمد علي دبوز (3/13).
- (11) «أعلام الإصلاح في الجزائر» لمحمد علي دبوز، (3/29/هامش).
- (12) المصدر السابق.
- (13) «أعلام الإصلاح في الجزائر» لمحمد علي دبوز، (3/22).

4 حَرَمُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْمِيلِيِّ:

جاء في (البصائر) في (صفحة القراء): "انتقلت إلى دار الخلد في 17 رمضان [1371هـ] البَرَّةُ التقية السيدة حرم المرحوم الشيخ محمد الميلي⁽¹⁴⁾، بعد عمرٍ مديدٍ قَضَيْتُهُ كُلَّهُ في صلاح وفلاح، فقد كانت رحمها الله تُشارك زوجها الشيخ الميلي المعروف بورعه وعلمه، في نشر العلم والفضيلة، بما كانت تقوم به من أعمالٍ لفائدة طلبة العلم ونَشْدَةِ القدوة. وكانت إلى جانب هذا مثلاً صالحاً للأُم المسلمة الرشيدة، الساهرة على تربية أولادها تربية موفقة توجيهية تجلّت آثارها الجميلة في أبنائها وبناتها". وقد دُفنت بجوار زوجها الشيخ الميلي وصهرها مبارك الميلي⁽¹⁵⁾.

5 والدة الشيخ مصطفى بن أحمد بوصوف:

السيدة عَكْرِي، لقبها «ابن سي علي» من قرية «فرجيوة»⁽¹⁷⁾، "كان السيد مصطفى بن أحمد بوصوف واسع الثراء عظيم الجاه في «ميلة»، لازم دروس الشيخ محمد الميلي العامة والشيخ مبارك؛ فتفقه في الدين، وكانت والدته السيدة «عَكْرِي» كابنها شديدة الحب للخير، متمسكة بالدين، تبغى أجر الله بأنواع المبرات، وكانت ذات مال، فطلبت من ابنها أن يبتغي لها تلميذين غربيين من طلبة الشيخ محمد الميلي تُنفق هي على إطعامهما، يأخذان الغذاء والعشاء كل يوم من دارهم، فقدم السيد مصطفى طلبها إلى الشيخ محمد الميلي، فاختار لها مبارك الميلي وآخر معه، فقامت السيدة «عَكْرِي» بإطعامهما في كل السنين التي قضاها مبارك في ميلة متعلماً⁽¹⁸⁾ (19).

6 والدة الشيخ محمد الأكل شَرْفًا:



كلثوم بنت الشيخ السعيد البهلولي (فُضِّلًا) الورتلاني⁽²⁰⁾: والشيخ (محمد) السعيد هو

الذي أشرف على تحفيظ القرآن⁽²¹⁾ لابنته البكر «كلثوم» ولأبنائه الأربعة «محمد الحسن» و«محمد الطاهر» و«عبد المالك» و«محمد الباهي» مع القليل منه لبناته: «الضاوية» و«فاطمة» و«جميلة»⁽²²⁾.

وجاء الدورُ على «كلثوم» (فُضِّلًا)، فتعلّم القرآن على يديها ولدها «محمد الأكل شَرْفًا»⁽²³⁾ إلى أن بلغ سورة «يس» (ربع القرآن)، ثم أكمل تعلمه على عمه الشيخ محمد السعيد شَرْفًا⁽²⁴⁾.

7 والدة الشيخ حمزة بوكوشة:



قال الأستاذ حمزة (رحمه الله) في «مُدْكِرَاتِهِ»⁽²⁵⁾ (ص18): "عندما بَلَغْتُ 6 سنواتٍ كان بمنزل جَدِّي للأُم «طالب» يُعلِّم

أبناء العائلة القرآن، فَبَعَثْتُ بي أُمِّي إِلَيْهِ لِأَتَعَلَّمَ، وقد كانت أُمِّي تَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ مِنْ حُفَاطِ كِتَابِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الحَافِظَ للقرآن الكريم في نظرها ونظر أمثالها⁽²⁶⁾ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيَدْخُلُ أَهْلُهُ وَعَشِيرَتُهُ وَجِيرَانُهُ، وَهَذِهِ عَقِيدَةٌ سَائِدَةٌ عِنْدَهَا وَعِنْدَ أَمْثَالِهَا مِنْ عَوَامِّ نِسَاءِ وَرِجَالِ ذَلِكَ الزَّمَنِ!".

وقال (ص21): "مَكَّثْتُ بِـ«الوادي»⁽²⁷⁾ بَيْنَ أَحْضَانِ أُمِّي عَلَى رِغْمِ مَا تُفِيضُهُ عَلَيَّ مِنْ حَنَانٍ؛ لِأَنِّي وَلَدْتُهَا الْوَحِيدَ؛ لِأَنِّي أَلْفْتُ وَالِدِي، وَقَدْ كَانَتْ وَالِدَتِي تَتَسَامَحُ مَعِي فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا التَّخَلُّفَ عَنِ الْجَامِعِ حَيْثُ أَتَعَلَّمُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ وَأَحْفَظُ سُورًا مِنَ الْقُرْآنِ.

وَلَا أَنْسَى أَنَّهَا أَيْقَظَتْنِي ذَاتَ يَوْمٍ كَعَادَتِهَا لِأَذْهَبَ إِلَى الْجَامِعِ فَادَّعَيْتُ الْمَرَضَ وَأَعْرَضْتُ عَنْ فَطُورِ الصَّبَاحِ (وهو كَوْبٌ مِنَ اللَّبَنِ وَتَمْرَاتٌ وَقِطْعَةٌ مِنْ خُبْزٍ) لِأُبْرِهَنَ عَلَى مَا أَدَّعَيْتُهُ فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِي وَجَسَتْ يَدِي فَلَمْ تَجِدِ الْحَرَارَةَ الَّتِي تُنْبِئُ بِالْمَرَضِ فَصَفَعَتْنِي صَفْعَةً، وَقَالَتْ لِي: أَذْهَبَ إِلَى الْجَامِعِ وَلَتَمَّتْ فِي الطَّرِيقِ!

فَذَهَبْتُ إِلَى الْجَامِعِ وَلَمْ أَفَكِّرْ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي التَّأَخُّرِ لِحَظَّةٍ وَلَوْ كُنْتُ مُنَحْرِفَ الْمَزَاجِ، غَيْرَ أَنَّهَا إِذَا رَأَتْ بِي دَاءً وَتَيْقَنَتْهُ تُمَسِّكُنِي حَتَّى أَبْرَأَ، وَهِيَ تَعْتَقِدُ أَنَّي إِذَا حَفِظْتُ الْقُرْآنَ سَأُسَفِّعُ فِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْخُلُهَا إِلَى الْجَنَّةِ⁽²⁸⁾، وَأَنِّي إِذَا حَفِظْتُ الْقُرْآنَ سَتَكُونُ لِي قِيَمَةٌ فِي الْمَجْتَمَعِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا⁽²⁹⁾ اهـ.

(14) هو محمد بن الظريف بن محمد، لقبه ولقب أسرته «ابن أمْعَصَر»: شيخ الشيخ مبارك الميلي الأول، توفي مقتولاً سنة 1347هـ/1928م. انظر ترجمته في: «أعلام الإصلاح في الجزائر» لمحمد علي دبوب، (3/45-66).

(15) البصائر، السلسلة الثانية، العدد (195)، (ص7).

(16) توفي سنة 1941م وعمره ثمانية وستون عاماً، وترك ذرية صالحة طيبة.

(17) «أعلام الإصلاح في الجزائر» لمحمد علي دبوب، (3/71).

(18) استمرت أسرة بوصوف الماجدة الخيرة في كفالة الشيخ مبارك، أيام تعلمه في ميلة وقسنطينة وتونس.

(19) «أعلام الإصلاح في الجزائر» لمحمد علي دبوب، (3/70).

(20) توفي سنة 1361هـ/1945م.

(21) والجد (محمد الطاهر) هو الذي أشرف بنفسه وفي المنزل على تحفيظ القرآن لابنته البكر (شريعة) ولابنه (محمد السعيد) الذي حفظ القرآن وهو في سن العاشرة. انظر: «الشيخ السعيد أبهلول الورتلاني في مجموعة من رسائله ومجالسه وفتاويه» جمع ولده محمد الطاهر فضلاء، (ص12).

(22) انظر: «الشيخ السعيد أبهلول الورتلاني في مجموعة من رسائله ومجالسه وفتاويه» جمع ولده محمد الطاهر فضلاء، (ص12).

(23) وُلِدَ سنة 1925م في قرية «إغيل علي» من «بني شبانة» دائرة بني ورتلان.

(24) انظر: «من أعلام الإصلاح في الجزائر» لمحمد الحسن فضلاء، (3/27).

(25) نُشِرَتْ مُؤَخَّرًا تَحْتَ عِنَاوَانِ: «مَارَأَيْتُ... وَمَا رَوَيْتُ»، نُشِرَها وَلَدُهُ الْأَسْتَاذُ: سَهِيلُ شُؤْف.

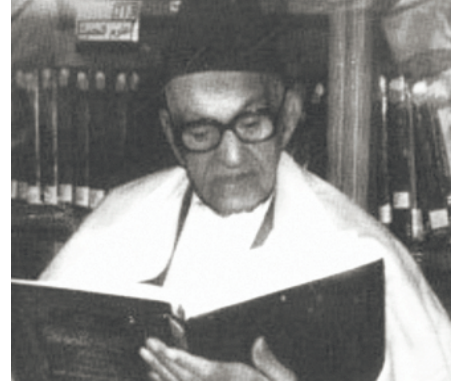
(26) ثَبِتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ حَافِظَ الْقُرْآنِ يُكْرَمُ وَالذَّاهُ وَيُلَبِّسَانِ خُلَّتَيْنِ مِنْ خُلَلِ الْكَرَامَةِ، كَمَا يُكْرَمُ الْوَلَدُ وَيُلَبِّسُ التَّاجَ، وَعَلَيْهِ فَاغْتِقَادُ هَؤُلَاءِ الْعَامَّةِ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الصَّحَّةِ فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ.

(27) يَعْنِي: «وَادِي سُوف»، أَمَّا وَلَدُهُ فَكَانَ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ «الوادي» و«بسكرة» لِلتَّجَارَةِ.

(28) ثَبِتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ حَافِظَ الْقُرْآنِ يُكْرَمُ وَالذَّاهُ وَيُلَبِّسَانِ خُلَّتَيْنِ مِنْ خُلَلِ الْكَرَامَةِ، كَمَا يُكْرَمُ الْوَلَدُ وَيُلَبِّسُ التَّاجَ، وَعَلَيْهِ فَاغْتِقَادُ هَؤُلَاءِ الْعَامَّةِ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الصَّحَّةِ فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ. وَأَزِيدُ هُنَا فَأَقُولُ: الْوَلَدُ مِنْ سَعْيٍ وَالذَّاهُ مِنْ كَسْبِهِمَا، فَسَعَى هَذِهِ الْمَرْأَةُ فِي أَنْ يَكُونَ وَلَدُهَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ لِتَتَنَفَّعَ فِي ذَلِكَ صَحِيحٌ.

(29) وَهَذَا أَيْضًا صَحِيحٌ، وَيُؤَيِّدُ عَنْ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَظُمَتْ قِيَمَتُهُ!».

8 والدة الشيخ موسى الأحمدى (نويوات):



كتب تحرير مجلة «الشَّهاب» ما يلي:

"امرأةٌ صالحة: هي والدة السيد موسى بن الملياني الأحمدى بحوز المسيلة ماتت بعد ما نيفت على السبعين بعد حياة قضتها في طاعة الله وإطعام الفقراء ومواساة الضعفاء فماتت على ما عاشت عليه، فرحمها الله" (30).

9 والدة الشيخ أحمد بن ذياب القنطري: نشرت (البصائر) في (صفحة القراء) مراسلة من «القنطرة»، جاء فيها: "انتقلت إلى دار البقاء في 3 صفر الجاري [1368هـ] المصونة عقيلة السيد صالح بن ذياب عن ستين ربيعاً قضتها في تربية أنجالها. وقد أنفقت جميع حُلَيْها في تعليم نجلها الأستاذ الشيخ أحمد بن ذياب مدير مدرسة «سيدي بلعباس» الآن وعضو «لجنة التعليم العليا»، فتركت بذلك سنة حميدة لنساء «القنطرة» إن أردن لأنفسهن وأولادهن ووطنهن خيراً. فرحمك الله يا «خيرة»..." (31).

وقد بكاه ابنها الشيخ أحمد بن ذياب من «بلعباس» في كلمة بعنوان "أُمَاه... أُمَاه...!" وهو الذي لم يشهد وفاتها وقد زارها وهي على فراش الموت لكَّه ودَّعها وامتنى القطار نحو «بلعباس»، تلبيةً لنداء الواجب، لتصله البرقية التي فيها نعيها بعد 14 يوماً. يقول: «وها أنذا أكتب هذه الكلمات باردة كالموت ثقيلة كالواجب سمجة كالحقيقة، فعسى القراء أن يسيغوها فيشاركني في مصابي من كانت له أمٌ فقدتها، أما الذين لم يتذوقوا هذا اللون من الآلام فإننا نسأل الله لهم ولأمهاتهم طول الأعمار... بيِّدْ أني إن نسيت كلَّ شيء فلن أنسى يوم عزمْتُ عليَّ قصد تونس لطلب العلم فمددت يديك إلى قرطيك الغاليين فنزعتهما من أذنك (وهبتهما) في سبيل تحقيق أمل كان يوم ذاك (خيالاً)، فرحمك الله الرحمة الواسعة» (32).

10 والدة الشيخين الأمين (سلطاني) وعبد اللطيف (سلطاني) القنطريين:



كتب الشيخ محمد الصالح رمضان تحت عنوان "تعليم المرأة" ما يلي: "...أختم كلامي بضرب مثال محسوس لكم على استعداد المرأة للخير والبر والعمل الصالح، كي لا تظنوا أنها لا تصلح لذلك. أذكر لكم سيدة قنطرية منكم قد توفيت (رحمها الله)، كانت أمية لا تقرأ ولا تكتب، ورغم جهلها بالقراءة والكتابة فقد عملت أعمالاً جليلة النفع والفائدة لهذه القرية الصغيرة. والفضل لها (رحمها الله) حيث كانت السبب الوحيد في نهضتنا المحمودة. وهي التي بذرت النواة الأولى لهذا الغرس المثمر الآن في هذه القرية الصغيرة.

هذه السيدة هي والدة الأستاذين الفاضلين: الشيخ الأمين والشيخ عبد اللطيف المتطوعين من جامع الزيتونة المعمور، والذين أصبحا دُولاب الحركة الإصلاحية والماسكين بزمام النهضة الحالية هنا. فقد أنفقت على تعليمهما كلَّ عزيز ونفيس لديها رغم احتياجها وشدة فقرها.

ومما يدل على عظمة نفسها وقوة حبها للعلم والعمل الصالح أن ابنها الأكبر الشيخ الأمين أبو النهضة القنطرية لما توفي والده العلامة سيدي علي بن السلطاني المغفور له، تركه يافعاً لم يتجاوز عمره حد العشرة سنين - على ما أظن -، وأما شقيقه الشيخ عبد اللطيف فقد كان صغيراً جداً ولا أظنه يعرف أباه، وترك الوالد المرحوم أولاً آخرين مع هذين لتلك السيدة ولم يترك لها مالاً وافراً تنفقه عليهم.

(30) «الشَّهاب»، ذي القعدة 1349هـ، (ص217).

(31) «البصائر»، السلسلة الثانية، العدد (60)، (ص8).

(32) المصدر السابق.

(33) «البصائر»، السلسلة الأولى، العدد (87)، (ص8)، 15 رمضان 1356هـ/19 نوفمبر 1937م.

(34) «البصائر»، السلسلة الأولى، العدد (10)، (ص5)، الجمعة 19 ذي الحجة 1354هـ/13 مارس 1936م.

(35) «الشَّهاب»، م12، (132-134).

فهذا أكبر دليل على عظمة نفس هذه السيدة البرّة التقية ورجحان عقلها وسعة صدرها وقوة إدراكها" (33).

11 بنت الشيخ أبي يعلى الزاوي:



كتب تحرير (البصائر) ما يلي: «توفيت في الأسبوع الماضي كريمة الشيخ أبي يعلى الزاوي... على أثر ما لحقها من عناء ومشقة بسبب (الإجهاض) وقد أعيا الأطباء علاجها فأسلمت الروح لخالقها مأسوفاً عليها من كل من عرفها وعرف ما كانت عليه من تربية عالية وثقافة علمية راقية ثقفاً بها والدّها. فقد كانت قارئة كاتبّة حافظة لكثير من الأحاديث النبوية رحمها الله رحمة واسعة» (34).

وكتب عنها الشيخ باعزیز بن عمرو فقال تحت عنوان: "مثال المرأة المسلمة المتعلمة": "وقد ثقّفها والدّها الكريم تثقيفاً إسلامياً عالياً وحلاًها بتربية المرأة المسلمة الكاملة التي تذكّرنا بتربية شهيرات النساء في تاريخ الإسلام الزاهر ونبوغهنّ النسوي...

هذه الفقيدة التي ضربت لنا مثلاً حياً بثقافتها الدينية في استقامة المرأة المسلمة، إذ كانت عليها الرحمة تقرأ القرآن وتتلوه في بيتها وتستظهر كثيراً من الأحاديث النبوية مع التفقه فيها المطلوب لمثلها، وتمّ لها هذا كله على يد والدّها الغيور" (35).

14 والدة السيدين محمد والطيب (بو حفص):

نشرت (البصائر) في (صفحة القراءة) مراسلة من «وادي الزناتي»، جاء فيها: "أثناء شهر يناير ختمت أنفاس البرّة التقية والدة رجل الإصلاح والإخلاص السيد محمد أبي حفص والسيد محمد الطيب أبي حفص، وهي من آل ابن محبوب ذوي الشهرة الذائعة بجهتنا في عمل الخير والنسبة إلى الإصلاح. وكانت في حياتها مثال الفضل والتبّل تقوم بنفسها على خدمة طلبة القرآن. كما كانت دائماً من المصلحات المشاركات في جمعية العلماء المؤمنات بدعوتها. فرحمها الله وأسكنها فسيح جناته" (39).

15 السيدة ذهبية صالح:

نشرت (البصائر) في (صفحة القراءة) مراسلة بعنوان «سيدة مصلحة بقسنطينة تنتقل إلى رحمة الله»، جاء فيها:

"السيدة ذهبية صالح زوجة السيد البشير بن العلاء أحد فضلاء قسنطينة، وصهرة الأستاذ محمد المنصوري الغسيري، من النساء المصلحات اللاتي تكوّن في أحضان دروس الوعظ والإرشاد في مجالس التذكير أيام فقيد العروبة والإسلام الشيخ عبد الحميد ابن باديس قدس الله روحه... في دروس الجامع الأخضر ومدرسة التربية والتعليم... وكانت مُصلحة تدافع عن الفكرة الإصلاحية في الأوساط الإسلامية النسائية، كما لو كُلفت برسالة من طرف جمعية العلماء تؤدّيها! وكانت تقية تُذكر بنساء السلف، فالصلوات لا يُجيز لها إيمانها أن تصلّيها قضاءً، والإحسان لا يترك لها دينها أن تشح وتبخل بما في يدها وإن يكن آخر ما ملكت من مصوغ، تبنّت عدة أطفال فكانت أحرص ما تكون على تثقيفهم حتى لقد كانت ترافقهم إلى المدارس، لتحرسهم في الطريق، ولتعلم القراءة والكتابة، وما مرّ زمنٌ حتى صارت تقرأ وتكتب، وتحفظ كثيراً من أحزاب القرآن الكريم، فرحمها الله رحمة واسعة" (40).



12 نساء «ميلة»:

كل حركة مفيدة ويتبرّعن بحُلّهنّ للأعمال الجليلة" (37).

13 جدّة السيد «مختار شرماط»:

نشر تحرير (البصائر) مراسلة من «شاطودان»، جاء فيها: "أنشبت المنية أظفارها صباح الخميس الفارط في (المُصلحة الكريمة) جدّة الأخ الشاب المصلح السيد «مختار شرماط» عن سن يناهز الستين عاماً بعد مرض عضال ألزمها الفراش عدة أشهر". كانت رحمها الله من المؤمنات الصالحات وممن يحضر (الجمعة) حتى عاقها المرض أخيراً، وكانت ملازمة لدروس العلامة الأستاذ «محمد أبي صالح» (الخاصة بالنساء) وعاملةً جهدها في نشر ما تسمع من الوعظ والإرشاد ما بين المخدّرات اللاتي مُنعن الخروج، وكانت تتصدق بما تصل إليه يدها من مال حتى في إعانة التجار الضعفاء، وطالما أكثرت من جمع المصاحف والكتب وتحببها على القراء، إلى غير ذلك من أعمال البرّ، ويرحم الله القائل إذ يقول:

ولو كان النساء كمن فقدنا

لفضلت النساء على الرجال (38)

نشرت (البصائر) قائمة «التبرّعات لتشييد جامع ميلة الحرّ ومدرستها الحرّة»، وقدم لها المحرّر بكلمات جاء في آخرها: "وهذه القائمة الأولى الخاصة بالنساء إعلاناً باعتبارنا للجنس اللطيف والإعتداد به في حركاتنا العلمية والأدبية"، ثم نشرت الأسماء، فليرجع إليها القراء هناك (36) وإنما أنتقي هنا بعضها: «بنات الشيخ مصطفى بوالصوف: مقبول وخلالة»، «حرم الشيخ مبارك الملي: مساييس».

وعلق عليها الشيخ الطيّب العقبي (محرّر «البصائر») بقوله: "حيّ الله رجال «ميلة» الكرام ونساء «ميلة» اللاتي أحيين بعملهن هذا سيرة نساء الصحابة رضي الله عنهن، فقد كنّ بعد وعظ النبي ﷺ لهن وتذكيرهن بالواجب يتصدّقن بحُلّهن، كما فعل هؤلاء الصالحات المصلحات اللاتي تمنى أن يكنّ أسوة لكل نساء الجزائر في عملهن الصالح وكرمهن المشكور".

وقال الشيخ أحمد حماني الملي في "حديث المتجول" عن زيارته إلى «ميلة»: "وهل نسي القراء ما قام به نساء «ميلة» من التبرعات للجامع؟ ولقد حدثت أن أكثر أولئك النسوة الكرائم كنّ يتبرّعن وهنّ لا يملكن أكثر ممّا تبرّعن به من الحلي، وهذا مُنتهى الكرم والتضحية، ولقد أحيين بذلك سنة صدر الإسلام عندما كانت النسوة يُشاركن في

(36) «البصائر»، السلسلة الأولى، العدد (79)، (ص8)، 12 جمادى الثانية 1356هـ/20 أوت 1937م. ونشرت تمة القائمة في العدد (80)، (6-7)، والعدد (81)، (ص3).

(37) «البصائر»، السلسلة الأولى، العدد (107)، (ص6)، 7 محرم 1357هـ/8 أفريل 1938م.

(38) «البصائر»، السلسلة الأولى، العدد (69)، (ص7)، الجمعة 17 ربيع الأول 1356هـ/28 ماي 1937م.

(39) «البصائر»، السلسلة الثانية، العدد (169)، (ص8)، 9 ذي الحجة 1370هـ/10 سبتمبر 1951م.

(40) «البصائر»، السلسلة الثانية، العدد (184)، (ص8).